

كتاب الشهر

حنين إلى صحافة ومقاهي بيروت الستينات نبيل دجاني يشخص أمراض الإعلام اللبناني

في كتابه "اشكاليات في الاعلام العربي - مسار بحث وممارسة"، يتوقف الاكاديمي اللبناني امام تحديات وظواهر اجتماعية واعلامية فرضتها العولمة ومتطلبات العصر. يستحث المؤلف لدينا الحس النقدي في مقاربة قضايا وشؤون تتعلق بالاعلام اللبناني ودوره المفترض في تعزيز الانتماء ورفع مستوى الوعي والحس النقدي

لنبيل دجاني باع طويل في المضمار الاعلامي على مدى اكثر من نصف قرن. عدا انه استاذ الدراسات الاعلامية في الجامعة الاميركية في بيروت منذ عام 1970، اصدر هذا الاكاديمي العديد من الابحاث التي رصدت وحللت وشخصت مشكلات الاعلام اللبناني انطلاقاً من معاشية ومعاناة ميدانية ونظرية. نذكر مثلاً كتابه "الاعلام في لبنان: التفتت والنزاع في الشرق الاوسط" الذي توقف عند المحتوى الغريب عن اهتمامات الفرد اليومية الذي تقدمه وسائل الاعلام المحلية، ما زاد من عزلة المواطن واحساسه بالاغتراب عنها. هذه النقطة تشكل هاجسا اساسيا في مشاغل دجاني، اذ انها تنطوي على جملة عناوين وتحديات اكبر تتعلق بالعصر كظاهرة العولمة وتأثيرها، ورأس المال والاستراتيجية الاعلامية في كل مؤسسة... في السياق نفسه يأتي كتابه الجديد "اشكاليات في الاعلام العربي - مسار بحث وممارسة" (دار الفارابي - 2019).

يتألف الكتاب من مجموعة مختارة من الابحاث والمدخلات التي قدمها خلال لقاءات ومؤتمرات علمية، تشكل عصارة تجربته ومعاشيته للوضع الاعلامي على مدى اكثر من نصف قرن. انضوت هذه المقالات في محاور محددة، فقارب المحور الاول العولمة واثرها على الاعلام العربي، فيما تعرض المحور الثاني للنظام العالمي الجديد للاعلام واثره في منطقتنا ودور الاعلام العربي الاخلاقي والمهني، والفضائيات العربية ومدى تأثيرها في المشاهد العربي. وشمل المحور الثالث مقالات في الاعلام الاجتماعي والثقافة الشعبية (الفولكلور)، وخطر وسائل الاعلام الاجتماعي على الجيل الجديد، ودور التقنيات الاعلامية الحديثة في عملية التواصل الشعبي. وفيما اضاء المحور الرابع على معاهد تدريس الاعلام في

لبنان والدور المفقود للاعلام العربي في صناعة الرأي العام، اختتم المحور الخامس بمدخلات سريعة حول الممارسة المهنية الصحافية. القارئ العادي كما الصحافي والجهات المعنية بالمضمار الاعلامي، سيجدون منفعة في هذا الكتاب الذي يذكرنا بدور وسائل الاعلام في المجتمع، ليقيم بعدها الواقع الاعلامي في لبنان. في خضم الفورة الاتصالية وسيل المعلومات الآتية من كل صوب، ما زال الاعلام يتميز عن منصات التواصل الاجتماعي بمسؤوليات وادوار حيوية يؤديها في المجتمع، على رأسها ما يسميه المؤلف "المشاركة الاجتماعية". يعني دجاني بذلك مساهمة الاعلام في "خلق وعي اجتماعي مبني على ادراك الافراد للقيم الحالية والتقدير بها"، الى جانب دعم الهوية القومية للمجتمع. لكن هل هذا ما تقوم به وسائل الاعلام في لبنان؟ طبعاً، كل يوم تظالعنا حادثة تؤكد على ان الاعلام اللبناني بات بمعظمه يبحث وراء الاثارة وال"رايتينغ"، وهذا ما يتحقق من خلال اللعب على الغرائز الطائفية والمذهبية والتعدي على الحياة الشخصية، بدون ادنى احترام لاخلاقيات المهنة. منذ فترة مثلا، سربت صحافية تسجيلاً صوتياً اجرته مع احد الممثلين، وكان يفترض انه حديث شخصي بينها وبين الممثل، لكن بدافع الجري وراء الشهرة والاثارة، استساغت نشر هذا التسجيل الذي هاجم فيه الممثل رموزاً في الطبقة السياسية اللبنانية. قبل هذه الحادثة، هناك المئات من الامثلة المشابهة التي نراها في الاعلام اللبناني وتلعب على وتر الجنس والانتماءات والعصبية الدينية والطائفية والحزبية المختلفة. لم نعد هنا امام اعلام مسؤول يمارس مهنته بوعي كامل لدوره المفترض في المجتمع، بل امام توجه يرسخ حالة التخلف والانحدار التي يعيشها المجتمع.

لبنان والدور المفقود للاعلام العربي في صناعة الرأي العام، اختتم المحور الخامس بمدخلات سريعة حول الممارسة المهنية الصحافية. القارئ العادي كما الصحافي والجهات المعنية بالمضمار الاعلامي، سيجدون منفعة في هذا الكتاب الذي يذكرنا بدور وسائل الاعلام في المجتمع، ليقيم بعدها الواقع الاعلامي في لبنان. في خضم الفورة الاتصالية وسيل المعلومات الآتية من كل صوب، ما زال الاعلام يتميز عن منصات التواصل الاجتماعي بمسؤوليات وادوار حيوية يؤديها في المجتمع، على رأسها ما يسميه المؤلف "المشاركة الاجتماعية". يعني دجاني بذلك مساهمة الاعلام في "خلق وعي اجتماعي مبني على ادراك الافراد للقيم الحالية والتقدير بها"، الى جانب دعم الهوية القومية للمجتمع. لكن هل هذا ما تقوم به وسائل الاعلام في لبنان؟ طبعاً، كل يوم تظالعنا حادثة تؤكد على ان الاعلام اللبناني بات بمعظمه يبحث وراء الاثارة وال"رايتينغ"، وهذا ما يتحقق من خلال اللعب على الغرائز الطائفية والمذهبية والتعدي على الحياة الشخصية، بدون ادنى احترام لاخلاقيات المهنة. منذ فترة مثلا، سربت صحافية تسجيلاً صوتياً اجرته مع احد الممثلين، وكان يفترض انه حديث شخصي بينها وبين الممثل، لكن بدافع الجري وراء الشهرة والاثارة، استساغت نشر هذا التسجيل الذي هاجم فيه الممثل رموزاً في الطبقة السياسية اللبنانية. قبل هذه الحادثة، هناك المئات من الامثلة المشابهة التي نراها في الاعلام اللبناني وتلعب على وتر الجنس والانتماءات والعصبية الدينية والطائفية والحزبية المختلفة. لم نعد هنا امام اعلام مسؤول يمارس مهنته بوعي كامل لدوره المفترض في المجتمع، بل امام توجه يرسخ حالة التخلف والانحدار التي يعيشها المجتمع.

من المحاور المهمة التي يناقشها المؤلف هو

اثر العولمة في وسائل الاعلام المحلية. اذ يرى ان الثورة الاعلامية حولت الدول النامية الى مجرد مستهلك للاعلام الذي تقدمه الدول المتقدمة، فحوالي 80 في المئة من الاخبار والمعلومات المتداولة عالمياً تصدر عن وكالات اخبار في الدول المتقدمة، الى جانب امتلاك الاخيرة اقنية الاقمار الاصطناعية. هذا ما ادى الى تدفق المعلومات في اتجاه واحد: من شمال العالم الى جنوبه. ترجمة ذلك في الاعلام اللبناني ان البرامج الاجنبية تزيد على نصف اجمالي المواد المبتة، اذ تبلغ 58.2 في المئة. بل ان البرامج المحلية نفسها تقلد البرامج المستوردة وتبني قيمها! والخطر ان ثلثي البرامج الاجنبية للاطفال لا تقدم ترجمة عربية لمشاهديها! وكلنا يعرف كم هو حيوي استعمال اللغة العربية في قنواتنا الاعلامية من اجل التربية الوطنية والمحافظة على تراثنا، والاهم تعزيز الحس بالانتماء والهوية لدى الطفل. يرى دجاني ان هناك ضرورة لمواجهة هذا الغزو الثقافي والاعلامي الاجنبي الذي يعد من اهم نتائج العولمة، داعياً الى وضع سياسات في مجال الاتصال والاعلام خاصة في منطقتنا العربية.

من تبعات العولمة ايضا انها قضت على وسائل التواصل الشعبية الشفهية، ناقلة المواطن الى عصر التواصل الاجتماعي التفاعلي. يخصص دجاني فصلاً عن هذه القضية، معتبراً ان "ادخال وسائل البث الرقمي ووسائل الاعلام الاجتماعية الجديدة التي تتسم بالمحتوى الاجنبي الكبير، اسهم في توسع التطلع الاستشراقي بين الشباب والمتقنين العرب، وبالتالي الى الخلط بين التغريب والتحديث". ففي ما مضى، كان الجامع والكنيسة من اقدم وسائل التواصل المباشر بين الناس، اذ كان يتم وجها لوجه من خلال اللقاءات والاجتماعات في الاماكن الدينية لسكان القرى والمناطق الريفية. كذلك، شكل المقهى قناة تواصل شعبية حيث يجتمع الرجال حول لعب الطاولة وتدخين النارجيلة ويتسامرون في شؤون سياسية واجتماعية وحياتية ملحة. وقد لعبت مقاهي بيروت في الستينات دوراً في وضع الخطط وممارسة الضغوط من اجل التغيير الاجتماعي والسياسي في لبنان، وكانت حضناً للأفكار المنتمدة على الواقع.

يستذكر المؤلف هنا "مطعم فيصل" الذي يعد نسخة حديثة من مقاهي بيروت. وهناك



غلاف الكتاب.

لعبت مقاهي بيروت في الستينات دوراً في ممارسة الضغوط من أجل التغيير الاجتماعي والسياسي

مقهى الـ "هورس شو" في الحمرا الذي شكل نقطة لقاء المثقفين والمسرحيين الطليعيين وقتها امثال روجيه عساف، وسعد الله ونوس، وانسي الحاج. طبعاً، اختفت هذه المقاهي لتحل مكانها مقاهي هي جزء من شبكات عالمية اجنبية، مدخلة ممارسات جديدة وغريبة على ممارساتنا التواصلية والثقافية بحسب دجاني. وكانت هذه المقاهي ايضا تضم واسطة تواصل شعبية اخرى هي الحكواتي الذي يتحلق حوله رواد المقهى مساء للاستماع الى رواياته عن اباطال العرب والاسطوريين. يأتي الكاريكاتور والزجل اللذان كانا وسيلة تواصل فعالة. فالكاريكاتور كان يوجه نقداً الى الاوضاع الاجتماعية والسياسية بأسلوب ساخر وهزلي.

مثلاً، افادت عائلة الراحل بيار صادق انه تلقى تهديدات شخصية بسبب رسومه الكاريكاتورية التي انتقدت شخصيات سياسية مختلفة. كل هذه النماذج من التواصل الشعبي، انحسرت مع انتشار وسائل التواصل الجماهيرية الحديثة، وما عادت تسهم في تشكيل الراي العام وتكوين الاتجاهات في ظل العولمة الزاحفة. اذ اشار "تقرير الاعلام الاجتماعي العربي" (2015) الى ان واتس آب هي وسيلة التواصل المفضلة في العالم العربي حيث 99 في المئة من مستخدمي الانترنت في لبنان فضلوا هذه الوسيلة، يليها الفايسبوك (95 في المئة) ثم يوتيوب (75 في المئة). ووضح التقرير ان ارقام حوافز استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في المنطقة العربية تتمحور حول ثلاثة مواضيع: الترفيه والتواصل والمعرفة. صحيح ان الوسائط التفاعلية هذه تيسر عملية التواصل، الا ان المؤلف يرى انها سيف ذو حدين. اذ انها يمكن ان تضع على رأس جدول الاعمال قضايا حياتية مهمة، وتسهم في رفع الوعي العام، كما يمكنها ان تسهم في القيم الاجتماعية او الانجازات الوطنية.

ويرى دجاني ان "الانغماس في هذه الوسائل التفاعلية قد يؤدي الى اهمال الجيل الشاب لمناقشة قضايا حياتية اساسية تواجه مجتمعه". ويمكن لهذه الوسائل ان ترفع مستوى ثقافة الانسان، كما ان تخفضه! الا ان المؤلف يشدد على ان هذه المنصات يمكن ان "تساعد المواطن على الاسهام في ظهور وعي جديد ينشئ تنمية اجتماعية جديدة". ويخلص الى انه كي تتمكن وسائل التواصل التفاعلي "من القيام بدور ايجابي في التعامل مع اغتراب الجيل الشاب، ودعم قدرته على القيام بدور نشط في مجتمعه، فانها تحتاج الى ان ترتقي الى قنوات تفاعلية ايجابية مؤهلة لبناء المواطنة الصالحة"، كما تحتاج الى تكييف رسائلها لمعالجة مشكلات المجتمع اللبناني واحتياجاته.

محاور وقضايا كثيرة يقارنها نبيل دجاني في كتابه تتعدى الاعلام في ذاته، لتتفرع الى الثقافة الشعبية، والعولمة، والاغتراب الثقافي والتحديث والتغريب... قضايا راهنة وحارقة يفترض ان تهتم كل مواطن مسؤول، لأنها تستحث حسه النقدي في مقاربة ظواهر، كما التفكير العميق في مسائل يخالها للوهلة الاولى من البديهيات.